

شرح أصول الكافي

[280] جهاده مع النفس والشيطان وثباته في مقام المجاهدة بالصبر وحبس النفس عليه

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) الصبر والشجاعة. (وإصبر على ما يقولون وأهجرهم هجرا جميلا) أمره بالصبر على تكذيبهم وبالهجر عن ذواتهم أو عن مخاصمتهم، وفيه ترغيب في حمل النفس على الصبر والمجاهدة لتخلص من عداوة الخلق والغضب عليهم وشهوة الدنيا والإشتغال بغيره تعالى، والهجر الجميل هو إن يجانبهم ويداريهم ولا يكافئهم ويكل أمرهم إلى الله كما قال: (وذرنى والمكذبين أولى النعمة) أي دعني وإياهم فإنني أجازيهم في الدنيا والآخرة وأولى النعمة صناديد قريش وغيرهم. (وقال تبارك وتعالى إدفع بالتي هي أحسن) قال عز وجل * (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن قال بعض المفسرين صبر الله تعالى بهذه الآية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم) على سفاهة الكفار وعلمه الأدب الجميل في باب الدعاء إلى الدين بل في مطلق أمور التمدن، و " لا " زائدة لتأكيد نفي الاستواء والمعنى لا مساواة بين الحسنة والسيئة أبدا يعني يكسان نيست نيكي وبدى هرگز كالايمان والكفر والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والمنف والعفو والاخذ ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه كيف يصنع بالخبيث الموزي قال * (ادفع بالتي هي أحسن السيئة " أي ادفع السيئة بالخصلة التي هي احسن منها وهي العفو وإسم التفضيل مجرد عن عن معناه أو أصل الفعل معتبر في المفضل عليه على سبيل الفرض أو المعنى ادفع السيئة بالحسنة التي هي أحسن من العفو والمكافاة وتلك الحسنة وهي الاحسان في مقابل الاساءة ومعنى التفضيل حينئذ بحاله لأن كل واحد من العفو والمكافاة أيضا حسنة إلا أن الاحسان أحسن منهما وهذا قريب مما ذكره صاحب الكشاف من أن " لا " غير مزيدة والمعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن إذا اعترضك حسنتان فادفع بها السيئة، مثاله مثاله رجل أساء إليك فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان اساءته. (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) أي إذا فعلت ذلك صار عدوك مثل الولي الشفيق، ثم مدح هذه الحضلة الكريمة وصاحب هذه السيرة الشريفة بقول: (وما يلقيها إلا الذين صبروا) أي لا يعمل بهذه السجية العظيمة وهي العفو عن الاساءة أو مقابلتها بالاحسان الاكل صبار على تجرع المكاره. (وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا تتأثر من الواردات الخارجة وقيل الحظ العظيم وقيل الثواب الجزيل.